الخطاب الديني
وحضارة العمارة
والسلام في الإسلام

ورقة علمية مقدمة من

أ.د. نبيل السمالوطي

العميد الأسبق لكلية الدراسات الإنسانية

وأستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر

الخطاب الديني

وحضارة العمارة والسلام في الإسلام

١-مقدمة تحليلية منهجية الأبعاد الحضارية للخطاب الإسلامي.

٢-الخطاب الإسلامي و التركيز علي حضارة العمارة .

٣-الخطاب الإسلامي و التركيز علي جوانب الإسلام الخمس.

٤-ما يجب أن يتسلح به القائم علي الخطاب الديني.

٥-الثوابت الخمس الحاكمة للخطاب الإسلامي.

٦-تعريف الخطاب الإسلامي و أنواعه.

٧-ضوابط الخطاب الإسلامي.

٨- الخصائص الأساسية للخطاب الإسلامي.

٩- الخطاب الديني في مواجهة التطرف و الأرهاب.

مقدمة تحليلية منهجية للدراسة

تعالج هذه الدراسة مجموعة من القضايا المهمة ، وتتمثل في دور الخطاب الديني في إبراز العطاء الحضاري الذي قدمه الإسلام عقيدة و شريعة و أخلاقاً وحضارة ، إلي الإنسانية كلها شرقاً و غرباً ، والذي أخرجها من الظلمات إلي النور ، ومن عبادة الدنيا والمادة والعباد إلي عبادة رب الأرباب رب الأرض والسماوات ....، ومن ضيق الدنيا إلي سعة الدنيا و الآخرة إلي جانب مواجهة حاجات الناس و الأجابة عن تساؤلاتهم، و تحقيق لهم النمو و السعادة و القوة الشاملة في الدنيا ونيل رضاء الخالق و توفيقه في الدنيا و الآخرة.

فقد أقام الإسلام صرحاً حضارياً شامخاً في كل المجالات ينطلق من عقيدة التوحيد النقية الخالصة لله رب العالمين وقد كانت هذه العقيدة هي أول ميثاق في التاريخ الإنساني و تاريخ المجتمعات ، لتحرير الإنسان . مسلماً كان أم غير مسلم ، امرأة أو رجلاً ، دون أي تمييز علي أساس الدين أو العرق أو اللون ، أو اللغة أو الطبقة ، أو الطائفة.....الخ .

الخطاب الإسلامي مسئول عن توضيح كيف أقام الإسلام حضارة منضبطة بضوابط الوحي الذي هو هدي السماء إلي الأرض ، حضارة تعلي إلي أقصي درجة من قيمة الإنسان ، وقيمة العقل ، وقيمة العلم ، وقيمة الإبداع العلمي ، وقيمة التنمية و عمارة الأرض و تجعل من العلم، وإعمال العقل ، وعمارة الأرض ، فريضة دينية . كل هذا في إطار منظومة من القيم التي تحفظ للإنسان كرامته ، و حقوقه ، وتحفظ

للشعوب حقوقها واستقلالها و كرامتها ، منظومة من القيم التي تتضمن إفشاء السلام و نشر الحق و تطبيق العدالة و الإخاء و المساواة. منظومة من القيم تضمن لكل إنسان حقه في إن يعيش آمنا . ونقصد بالأمن هنا كل أنواع الأمن المادي ، و الأمن الاقتصادي ، والأمن السياسي ، والأمن الاجتماعي و الأسري ، والأمن الديني ، والأمن الفكري، والأمن النفسي والمعنوي.... الخ . وقد لخص القرآن الكريم رسالة الإسلام في قوله تعالي ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١٠٧) سورة الأنبياء.

وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد أعلت إلي غير ما حد من قيمة و قدرات وفعاليات العقل الإنساني المطالب شرعا بالتوصل إلي سنن الله في الكون والمجتمعات و التاريخ و الإنسان ، للانتفاع بها ، ولزيادة الطاقة الإيمانية عند المسلمين و المؤمنين ، وللتمكن من توظيف المسخرات الكونية التي خلقها الله وسخرها للإنسان ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾(٢٩) سورة البقرة ، فإن العقل الإنساني و الحواس الإنسانية كمصادر للمعرفة إنما هي منضبطة بضوابط الوحي ، و منضبطة بمنظومة من القيم و الثوابت الشرعية فعلاقة العقل بالنقل في الإسلام علاقة تفاعلية تبادلية ، فنحن نفهم النقل بالعقل ، و نضبط العقل بالنقل . ومنظومة القيم و الثوابت في الإسلام وظيفتها إطلاق النهضة و التقدم المادي والاقتصادي و الاجتماعي و التكنولوجي و السياسي .. الشامل مع الحفاظ علي إعمال مبادئ الرحمة و العدل للجميع دون تمييز علي أساس عرقي أو ديني أو مذهبي ، والابتعاد عن كل ما يؤدي إلي الانحراف أو الظلم ، أو الفساد ،

أو الإفساد . يقول تعالي ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(٩) سورة الإسراء.

والعطاءات الحضارية للإسلام شملت كل مجالات الحياة ، ومجالات المجتمع ، ومجالات العلم ، ومجالات الكون .وهذا ما يجب أن يركز عليه الخطاب الإسلامي فقد أرسي الإسلام دعائم أول حضارة ، وأول مجتمع في التاريخ لا يؤسس علي أساس أثني أو عنصري و إنما علي دعائم إيمانية قيمة أخلاقية تساوي بين كل البشر دون أي تمييز ، أول مجتمع تعددي لأن اختلاف البشر في الدين ، وفي اللون ، وفي االجنس ، وفي اللسان ....سنة من سنن الله في كونه ، أول مجتمع يؤسس علي عقد اجتماعي واقعي ، ويحكمه دستور يحدد حقوق الناس وحرياتهم ، وحقوق الحاكم و المحكومين و واجباتهم .

وقد أهدت حضارة الإسلام المنطلقة من الكتاب و السنة للإنسان لأول مرة ما نعرفه الأن بحقوق الإنسان و حرياته و كرامته . هذه الحقوق والحريات والكرامة، ليست منحة من حاكم أو من دولة ، ولم يتوصل إليها الناس نتيجة لكفاحهم ونضالهم ، وإنما هي منحة من الخالق لكل الخلق ، مضمونة بوحدة الخالق ، ووحدة الأصل البشري ، وتكريم الله الخالق لكل الناس، وليس لفئة معينة ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧٠) سورة الإسراء

كل هذا يعني أن الإسلام هو تاريخ الميلاد الحقيقي لكل ما يعده الغرب إفرازاً للعقل الغربي بعد عصر النهضة ، ويفاخر به العالم كله . فالإسلام هو تاريخ الميلاد الحقيقي لحقوق الإنسان ، وحرياته وكرامته،

تاريخ الميلاد لتحرير المرأة و الرجل ، تاريخ ميلاد حقوق الطفل ، وتاريخ إرساء أول دولة في التاريخ تقوم علي أسس دستورية ، دولة تلغي فيها كل أشكال التميز بين البشر علي أساس اللون أو العرق أو النسب ، أو الطائفة ، أو الغني والفقر... ، كانت دولة الرسول صلي الله عليه و سلم هي أول دولة يؤسس فيها مبدأ انفصال الدولة عن شخصية الحاكم ، وهذا هو الشرط الذي يضعه فقهاء القانون الدستوري و العلوم السياسية لنشأة الدولة الحديثة . هذا المبدأ أرسي في حياة الرسول ، وطبق تطبيقا كاملا في عصر الصحابة ، وبعض العصور التالية .

الحضارة الإسلامية هي تاريخ الميلاد الحقيقي للديمقراطية الراشدة والمنضبطة بوحي السماء وهداية الله لخلقه ، وهذه هي الشوري في المصطلح الإسلامي ، والحضارة الإسلامية هي تاريخ الميلاد الصحيح والمنضبط لمفاهيم التعايش السلمي ، والمواطنة ، والتسامح و الوسطية، والاعتدال...الخ.

وقد أكدت حضارة الإسلام بشكل قاطع علي رفض كل صور الغلو والتطرف والارهاب والعنف غير المبرر وغير المشروع فالإسلام دين السلام والأمن لكل المواطنين داخل الدولة ، ولكل الناس علي مستوي العالم.

الحضارة الإسلامية أطلقت إبداع العلماء و المفكرين و أهدت منظومات من العلوم الجديدة ، سواء في مجال العلوم الإسلامية ، أو العلوم الكونية ، أو الرياضية ، أو الاجتماعية والإنسانية ، أو في مجال الفكر الفلسفي . وما هو أهم من هذا أن العقل المسلم هو الذي أبدع خطوات المنهج العلمي التجريبي الذي كان أساس إبداعات العلماء

المسلمين في مجالات علوم الكون كالفيزياء و الكيمياء ، والفلك ، والبصريات ، والجغرافيا ، وكان هو منطلق الإبداع في مجال إنشاء علوم جديدة في مجالات الاجتماع ، والتاريخ و الإنسان ، تحقيق الروايات التاريخية (منهجية البحث التاريخي) . وقد أبدع العقل الإسلامي في مجال الاقتصاد والقيم الاقتصادية استناداً إلي الحقائق القرآنية الثابتة في هذا الصدد . وقد كانت العطاءات الإسلامية الأساس لانطلاق عصر النهضة في أوربا و الغرب بشكل عام .

قدمت الحضارة الإسلامية المستندة إلي الوحي عطاءات جوهرية في مجال إرساء مؤسسة الأسرة و بيان أركانها و شروط قيامها ، وضوابطها ، ووظائفها ، وحقوق وواجبات أعضائها .وقد أحاط الإسلام هذه المؤسسة بكل ضمانات السلامة والنظافة والحماية والاستقرار والشرعية .. وحتي بالنسبة لما يعتريها من أزمات فقد أوضح الإسلام أساليب أدارة الأزمات والمشكلات الأسرية ، بمنهجية ربانية لا يمكن أن تصل إليها أية منهجية بشرية. كذلك فقد كان عطاء الحضارة الإسلامية المنضبطة بهدي السماء واضحاً جلياً و مكثفاً في مجال الاقتصاد فكراً وسلوكاً وفي مجال التربية وبناء الإنسان المؤمن بربه ، والذي يؤدي واجبات الاستخلاف في عمارة الروح و النفس و الأسرة و المجتمع والدولة والإنسانية كلها. وقد كان الإسلام سباقاً إلي معالجة قضايا الصحة النفسية ، وربطها بالتربية وحسن الخلق.

وقد كان للإسلام عطاؤه الذي لا يصل إليه عطاء وضعي في مجال وضع ضوابط أخلاقية في مجال الحروب و النزاعات المسلحة ، وقد حرص الإسلام بشكل لا يصل إليه آية إتفاقيات وضعية محلية أو إقليمية أو

دولية، علي حماية غير المقاتليين من المدنيين ، سواء الشيوخ أو النساء أو الأطفال أو العباد، سواء أكانوا مسليمن أم غير مسلمين . بل إن أول آية شرع فيها القتال ، أوضحت بجلاء أن الإذن بالقتال إنما شرع دفاعاً عن الدولة ، وعن الدعوة، ولنصرة المظلومين ، وتحرير الناس ، والدفاع عن حرية الأديان جميعاً ، وعن أمن الذين يمارسون العبادات المختلفة ، والذين يدينون بأديان مختلفة ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(٣٩-٤٠) سورة الحج

والبيع والصلوات والصوامع ...كلها أماكن لعبادة غير المسلمين ، يحميها الإسلام حماية كاملة ، حتي أثناء النزاعات المسلحة ، ومن أبرز عطاءات الحضارة الإسلامية أنها ربطت كل الأنشطة والنظم والمنظمات والمؤسسات والعلاقات داخل المجتمع الواحد ، بين المجتمعات والدول ، ربطت هذا كله بالمبادي والضوابط الأخلاقية ، علي العكس تماما من كل الحضارات السابقة علي الإسلام ، وفي الحضارات اللاحقة و المعاصرة اليوم . هذه الحضارات التي تعلي من قيم الفردية ، والمادية ، والنفعية والبرجماتية غير المنضبطة ، وتفصل تماما بين الانشطة الاجتماعية والاقتصادية وبين القيم الأخلاقية ، وتعلي من قيم الاستمتاع الحسي عند الإنسان دون أية ضوابط دينية ، هذا ما أدي إلي ظهور ، بل وتشريع أنواع مختلفة من الانحراف كالجنسية المثلية و البغاء..... الخ.

حضارة الإسلام كان لها عطاؤها المتميز في مجالات عديدة مثل مجالات تحرير الإنسان ومجال الأسرة ، الاقتصاد ، والتربية ، والحفاظ علي توازن ونقاء البيئة ، ومجال التنمية الشاملة و بناء أقصي قدر ممكن من القوة في كل مجالات الحياة والمجتمع ، اعتبارا من القوة الاقتصادية والاجتماعية و العلمية والتكنولوجيا الأسرية ، والفكرية ... وحتي قوة الشخصية التي تفرزها التربية الإسلامية . لكن كل هذه الأنواع من القوة إنما تنبثق أساساً من القوة الإيمانية والقيمة الأخلاقية ، والمسئول عن بناء هذه القوة الأخيرة ، كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية داخل المجتمع المسلم . وهنا يجب أن تتكامل هذه المؤسسات ، اعتباراً من الأسرة، إلي العائلة الأكبر ، إلي المسجد والمدرسة ، والإعلام ، والنوادي ، ومجتمع الجيرة ، والمجتمع المحلي، ومختلف المؤسسات الحكومية و غير الحكومية داخل المجتمع العام... الخ

وإذا ما حاولنا ايجاز معطيات حضارة الإسلام للإنسانية و لكل المجتمعات والدول والمؤسسات ، بل للفرد منذ أكثر من أربع عشرة قرنا، قلنا أن الإسلام اهتم بالعمارة و البناء بالمفهوم الواسع ، بناء الإنسان ، وبناء الجماعة ، وبناء الأسرة الصالحة ، وبناء الاقتصاد ، وبناء السياسة ، وبناء القوة ، وبناء العلاقات الشرعية النظيفة الطاهرة بين الرجل و المرأة ، وبناء القيم العليا ومكارم الأخلاق التي تحكم فكر وسلوك وعلاقات الناس ، وتحكم العلاقات بين الدول ، وتحكم كل نظم ومؤسسات المجتمع ، ولاشك أن هذا كله يمكن فهمه واستنباطه من مصادر الشريعة الأساسية . القرآن ، والسنة ومن أقوال الفقاء والمفسرين وعلماء القرآن والسنة . يقول

تعالي ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾(٦١) سورة هود

الخطاب الإسلامي و التركيز عل حضارة العمارة

وقد بين القرآن و السنة أنواعاً كثيرة من العمارة المطلوبة و التي يجب علي الخطاب الإسلامي إبرازها و التركيز عليها و أهمها :

أولاً : **عمارة الإنسان** : بالتربية و غرس العقيدة و القيم و مكارم الأخلاق.

ثانياً : **عمارة الروح** : بربطها بخالقها من خلال العقيدة و العبادات وتطبيق أحكام الشريعة في النيات و الأفكار ، والسلوك ، والعلاقات...الخ ومن خلال التقوي ومراقبة الله في السر و العلن .

ثالثاً : **عمارة النفس** : تزكية النفس اللوامة ، وقمع النفس الأمارة بالسوء ، و تنقية النفس من كل الآثام و الشرور ، كالحقد والحسد ، والغيبة ، والنميمة ، وعدم حب الخير للآخرين ، والأنانية ، والآثره...الخ.

رابعاً: **عمارة العقل** ، بالمعرفة ، والعلم و التعليم ....لكل ما ينفع الإنسان و أسرته ومجتمعه و الناس جميعاً . وقد كانت أول آية نزلت في الذكر الحكيم هي (اقرأ)

خامساً : **عمارة الجسد** : بالصحة ، والنظافة ، والاعتدال ، وإعطاء كل ذي حق حقه، وبالرياضة المقبولة ، والبعد عن كل ما يؤذي الجسد من محرمات كالخمر ، والمخدرات ، والزنا ، والإسراف في كل الأمور (آكل . سهر . شرب....) وهذا يعني تطبيق منهج الوسطية المنضبطة بأحكام الشرع.

سادساً : **عمارة الأسرة** : تطبيق معايير و أحكام الإسلام ، في الاختيار ، وبناء الأسرة، وفي وظائفها ، وأداء مهام أعضائها . سواء في مجال حفظ حقوق كل عضو ، أو في مجال حُسن إعداد و تربية الأبناء ، أو في مجال العشرة بالمعروف ، وتحقيق السكن والمودة والرحمة لأعضائها ....

سابعاً :**عمارة المجتمع** ، تطبيق منهج الله في الشورى و حق الناس في الحرية والتمتع بحقوق الإنسان و حفظ كرامته ، المضمونة من الخالق، وعدم التميز بين الناس علي أي أساس غير التقوى ، والعمل الصالح ، وتحقيق الخير والمصالح المشروعة . وعمارة المجتمع إنما يكون بإعمال فريضة التنمية ، وإعمال العقل ، والوصول إلي سنن الله في الكون والمجتمع والتاريخ والإنسان ...وهذا يعني تفعيل فريضة طلب العلم ، وذلك لبناء القوة الشاملة في المجتمع المسلم . هكذا تكون عمارة المجتمع في الحضارة الإسلامية ، بتطبيق قيم النهضة والرحمة ، والعدالة بالمعايير الإسلامية .

ثامناً : **عمارة المجتمع الدولي** : وهذا يكون من خلال إعلاء وإفشاء قيم الآمن والسلام والتعايش السلمي التي أوجبها القرآن الكريم ، وجاءت واضحة وصريحة في أحاديث الرسولﷺ ، عند تأسيسه لأول دولة إسلامية في المدينة ، حيث كان أول ما قال (يا أيها الناس: افشوا السلام و اطعموا الطعام وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام . تدخلو الجنة بسلام) رواه الترمذي ، وابن ماجة ، والدرامي . مشكاة المصابيح١٦٨/١.

والسلام هو الأصل في العلاقات الدولية ، أما الحرب فهي حالة طارئة يتم اللجوء إليها عند الضرورة . وليست من أصول الدين .

وقد حرص الإسلام متمثلاً في القرآن و السنة ما فعله النبي صلي الله عليه وسلم و الصحابة علي إرساء ثقافة التعايش السلمي داخل المجتمعات ، وبين الدول ، فلا عدوان إلا علي الظالمين . ولم تشرع الحرب في الإسلام إلا للدفاع عن الدولة ، أو عن الدعوة ، أو عن المستضعفين ، للقضاء على الفتنة . وهذا ما سوف نفصله في الدراسة الحالية ، وقد سبق الإسلام كل القوانين الدولية والإنسانية المعاصرة فيما يتصل بتحقيق الأمن و السلام و عدم نقض العهود ، وإعمال المعاهدات التي تحفظ حقوق الدول و المجتمعات .

تاسعاً : **عمارة الدنيا** ، تطبيق أمر الله في عمارة الأرض من خلال الإيمان بأركانه الستة ، والإسلام بأركانه الخمسه ، ومن خلال عمارة الأرض بالزراعة و الصناعة و التجارة والخدمات ومن خلال الاستمتاع بالطيبات التي أحلها الله ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ (٣١) سورة الأعراف ، فالعمارة في مصطلح الإسلامي ، هي التمية الشاملة المنضبطة بالقيم الأخلاقية ، في المصطلح المعاصر .

عاشراً : **عمارة الآخرة**: الدنيا مزرعة الآخرة . والدنيا دار اختبار، وابتلاء ، وبناء للآخرة . وتتمثل عمارة الآخرة في قوله تعالى ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ

أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(٧٧) **سورة القصص ، كما تتمثل في آخر آية نزلت في القرآن الكريم وهي قوله تعالى** ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(٢٨١) **سورة البقرة**.

الخطاب الديني و شرح جوانب الإسلام ومكوناته:

يتضمن الإسلام خمسة جوانب أساسية يجب فهمها وفهم أوجه التكامل والتفاعل بين مكوناتها وهي الأساس للثوابت الجوهرية للإسلام كما سوف نوضح فيما بعد . هذه الجوانب هي التي يجب أن يركز عليها الخطاب الديني وهي :

١ – **العقيدة** : وهي عقيدة التوحيد الكامل لله الخالق البارئ الذي خلق كل الأكوان والمخلوقات وهو قيوم السماوات والأرض وما بينهما ، وهو واحد احد فرد صمد لم يلد ولم يولد وليس كمثله أحد له الأسماء الحسني .

٢ – **الشريعة** وتعني الأحكام التي استمدت من القرآن والسنة لتنظيم عبادات ومعاملات الناس في الدنيا ، وتنظم العلاقات بين النظم والمؤسسات والجماعات والمجتمعات والدول لتحقيق الخير والعدل والسلام والإخاء والحياة الكريمة لجميع الخلق.

٣– **القيم العليا ومكارم الأخلاق** ، وهي أمور مطلقة تتجاوز حدود الزمان والمكان والثقافات والشعوب والمجتمعات ، وهذه المنظومة الأخلاقية القيمية هي مشترك ديني وثقافي في كل رسالات السماء ، نادي بها كل أنبياء الله ورسله منذ أبو البشر أدم وحتي محمد عليه الصلاة والسلام مرورا بكل الأنبياء والمرسلين ومن بينهم الخمسة أولي العزم نوح، وإبراهيم، وموسي ، وعيسي ، ومحمد عليهم جميعا صلاة الله وتسليمه .

٤– **الحضارة الإسلامية** وتشير إلي منظومة العلوم و الفنون والتي أنشأها العقل المسلم و نشرها علماء المسلمين تحت تأثير الدعوة إلي

إعمال العقل و الفكر كفريضة دينية ، واعتبار العلم و التعلم و التعليم والوصل إلي معرفة سنن الله في الكون ، وفي المجتمع، وفي الإنسان ، وفي التاريخ... الخ .....للاستفادة من المسخرات الكونية من جهة وتحقيق المنافع للناس جميعا و من جهة أخري، وتقوية الإيمان الديني في نفوس المسلمين من جهة ثالثة . هذا إلي جانب أن الحضارة الإسلامية هي التي أنشأت من العدم فن بناء الدولة علي مجموعة من الأسس والمبادئ لم يتوصل إليها اليها الناس إلا حديثاً حيث أسس الرسول – عليه الصلاة والسلام – أول دولة إسلامية علي . التعاقد الحر بين الحاكم والمحكوم ، وعلي الإخاء والمآخاة بين الجميع ، وعلى نبذ القيم الجاهلية ، وعلي دستور واضح المعالم بين جميع مكونات المجتمع. كذلك أسس المجتمع على مبدأ المواطنة فحقوق الناس جميعا متساوية ، مسلمين وغير مسلمين ، وحرياتهم مكفولة بما في ذلك حرية العقيدة و الدفاع المشترك مكفول بين مكونات المجتمع مسلمين وغير مسلمين بشرط الالتزام ببنود الدستور. حضارة الإسلام أسست أول دولة في الإسلام علي سيادة القانون دون تمييز يقوم على أساس عرق أو دين أو لون أو طبقة ، أسست المجتمع علي وجود مؤسسات ، وعلى التوافق الوطني وعلى مشاركة كل أبناء المجتمع دون تمييز في حكم المجتمع وتحقيق الخير العام للجميع ، بشرط الالتزام ، بمواثيق الدولة وقوانينها وعدم الاعتداء أو التآمر مع الأعداء ، أو السعي لهدم الدولة وإفشالها وبهذا أسس لمبدأ المواطنة المسئولة بأبعادها القانونية والاجتماعية والسياسية والوطنية والاقتصادية...الخ.

كل هذا يعني أن الإسلام أسس حضارة العلم والتقنية والترجمة والفنون والآداب وحقوق الإنسان وحرياته لكل الناس دون تمييز .

٥- **السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي** . أكد الرسول عليه الصلاة والسلام على أهمية الأخذ بسنته عليه الصلاة والسلام وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعده ، وقد سن الخلفاء الراشدون مجموعة كبيرة من السنن المعتبرة في ديننا الإسلامي .. وعلي المسئولين عن الخطاب الديني توعية الناس بحقائق تاريخنا الإسلامي خاصة سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وسيرة الخلفاء الراشدون من بعده ، ثم بعد ذلك الدول المتعاقبة كالدولة الأموية وفيها الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز ، والدولة العباسية وما بعدها .

ما يجب أن يتسلح به القائم بالخطاب الديني

وعلى المسئولين عن الخطاب الديني من معلمي التربية الدينية والأئمة والوعاظ وعلماء الشرع والمسئولين عن اجتماعيات واقتصاديات الإسلام و المسئولين عن الدراما الدينية و عن كرتون الأطفال و كل وسائل الاتصال التي تستهدف تعريف الناس بصحيح الدينالخ يجب أن يكونوا على علم ، وأن يعلموا جمهور المسلمين أن هناك ثوابت خمس أساسية في الإسلام . هذه لا تتغير ولا يطالها التغيير والتبديل ، لأنها تمثل جوهر الإسلام ، وهذه مهمة جدا، و لا يجوز الإجتهاد فيها لأنها الأسس والمرتكزات الجوهرية لإسلامنا الحنيف ، أما ما عدا هذه الثوابت الخمس فإنه يمكن الاجتهاد فيها

وإعمال العقل فيها واجب ومتابعة المستجدات الحضارية بكل أنواعها الاجتماعية والاقتصادية والأسرية والتربوية والعلمية والاتصالية والعلمية والإعلامية .... إلخ أمر يجب علي المؤهلين للاجتهاد أن يتصدوا له علي أن يكونوا :

أ – مسلحين بفقه الشرع . علوم القرآن والحديث و الفقه والأصول والعقيدة واللغة العربية والسياسة الشرعية ..... الخ .

ب – أن يكونوا مسلحين بالمستجدات المعاصرة في مجال الاقتصاد . كالبنوك وشركات التأمين وأنواع وأساليب التصدير والاستيراد والاقتراض والانتاج والاستهلاك ... وفي مجال الطب مثل أطفال الأنابيب والعلاج الجيني ونقل الأعضاء والاستنساخ....وهكذا.

ج – أن يكون مسلحاً بفقه الواقع أي على علم بالفهم العلمي للمجتمع المعاصر بنظمه وجماعاته وعلاقاته وطبقاته وجوانبه الايجابية أو السلبية و أمراض المجتمع ومشكلاته . هذا أو ما نطلق عليه فقه الواقع

يستوجب من صاحب الخطاب الدين أو المجدد الشرعي أو المفتي.. أن يكون علي علم بأساسيات العلوم الاجتماعية وفي مقدمتها علوم الاجتماع والنفس والإنسان والسكان والاقتصاد والسياسة و التربية.. الخ.

د – يجب علي القائم بالخطاب الديني أو الاجتهاد أو الفتوى أن يلتزم التزاما تاما بضوابط الشرع التي تحكم الاجتهاد أو الحكم أو الفتوى وأهم تلك الضوابط ألا يتصادم الرأي أو الحكم أو الفكرة أو التجديد مع نص ثبت بالكتاب والسنة ، وثانيا أن يحقق الصالح العام و ليس الصالح الخاص والأمر الثالث أن يكون أن يكون الاجتهاد أو الفتوى محققة لمصالح حقيقية ، وليست لمصالح وهمية ، فشرب الخمر الذي يدعي الشارب أنه يحقق له الاستمتاع ولا يضر أحدا ، نقول له أن هذه مصلحة وهمية و ليست حقيقية ، وأن الخمر مجرم شرعا لأنه اعتداء علي العقل وهو ليس ملكا لي أو لك ، لكنه هبة من خالق الكون والإنسان ، فخالق النفس حرم الانتحار ، وخالق العقل حرم تغييبه بالخمور والخدرات وهكذا .

الثوابت الخمسة للإسلام :

وإذا ما أنتقلنا إلي الثوابت الخمس الكبري للإسلام الذي علي المجتهد أو المفتي أو القائم بالدعوة أو تدريس التربية الدينية أو القائم بالدراما الدينية أو ممارس الدعوة من خلال وسائل التواصل الاجتماعي وغيره أن يعي أنها لا تتغير وأنه يجب عليه أن ينقل أو يعلمها لجمهور المستمعين أو المشاهدين هي ما يلي ببساطة كاملة :

اولاً: العقيدة وتتمثل أساساً في أركان الاسلام الخمس (بني الإسلام علي خمس : شهادة ألا إلاه إلا الله و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا) . كما تتمثل في أركان الايمان الستة (أن نؤمن بالله و ملائكته و نبيه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) وعلى القائم بالخطاب الديني أن يكون دارساً وفاهماً بشكل جيد لعلم العقيدة أو التوحيد.

ثانياً : المقاصد الشرعية ، وهي الهدف الأساسي لكل الرسالات السماوية والهدف الذي حاول كل الأنبياء والمرسلين تحقيقه ، وهي تسمى في الإسلام المصالح الخمسة . فما جاء الدين إلا لحفظ الدين والعقل والمال والعرض والنفس .. ليس للمسلمين فقط وإنما كل الناس . فهذه الأمور معصومة لكل أبناء المجتمع و لكل الناس مسلمين أو غير مسلمين . فالله سبحانه و تعالى يقول ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) سورة الإسراء ، ولم يقل كرمنا المسلمين أو المؤمنين أو المتقين.. كذلك قال تعالي ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا

بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (٣٢) سورة المائدة ، ولم يقل نفس مسلم أو مؤمن .. فكل نفس بشرية معصومة هدف الدين الذي لا يمكن ولا يقبل التغيير هو حماية هذه المصالح الخمسة ويمكن أن نضيف إليها كرامة الإنسان وحقوق الإنسان وحريات الإنسان في إطار الضوابط الشرعية والعقلية المتفق عليها .

ثالثاً : الأحكام الشرعية قطعية الثبوت وقطعية الدلالة . هذه الأحكام قليلة جدا في الكتاب والسنة مثل أحكام الزواج والطلاق والميراث وأحكام الربا والزنا وشرب الخمر وأحكام البيع والرهن .. الخ أما الأحكام التي قال بها الفقهاء وهي ليست قطعية الثبوت والدلالة فيجوز فيها الاجتهاد و إعمال العقل في إطار ضوابط الشرع المعروفة .

رابعاً : العبادات . الفروض والسنن والمستحبات يجب الألتزام بها .كالصلاة و الصيام و الزكاة و الأركان و الأفعال الواردة بالكتاب والسنة

خامساً القيم الإسلامية العليا و مكارم الأخلاق ، وفي مقدمتها وجوب العدل حتي مع الوالدين و الأقارب ، وحتي مع الأعداء ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٨) سورة المائدة ، وعدم الظلم فقد حرم الله الظلم علي نفسه وهو بيننا محرما ، والمساواة والعمل وفعل الخير والتكافل الاجتماعي و الأخلاص و الوفاء و الاتقان ... الخ .

تعريف الخطاب الديني و أنواعه :

الأصل في الخطاب الديني أنه كل درس أو توجيه أو توصية أو ردود أسئلة يمارسها مدرس مواد شرعية أو إمام مسجد أو واعظ أو موجه أو مفتي أو مشتغل بعلوم الشرع أو مؤلف دراما دينية أو ممارس للدعوة من خلال وسائل التواصل الاجتماعي ، أي من هؤلاء يخاطب جمهورا، طلابا أو رواد مسجد أو مستمعين لإذاعة أو مشاهدي تلفزيون أو محاضرة عامة ... يطلق عليه خطاب ديني . والأصل ألا يمارس الخطاب الديني إلا المتخصص في الشريعة أو العلوم الاجتماعية والإنسانية الموجهة إسلامية لكن المشكلة أنه في الكثير من المجتمعات يمارس الخطاب الديني (توعية . خطبة . درس . لقاء إعلامي ... الخ) غير المتخصصين فعلي المستوي الواقعي كل من يلبس عمامة و زي شرعي في الإسلام يعد شيخا يطلب إليه الناس الرأي و الحكم الشرعي فيما يصيبهم من أمور ، وكل من يعتلي المنبر في الأرياف يعد شيخا كبيرا و هكذا .. وهذه مشكلة كبري . فالفتاوي و الأحكام الشرعية والخطاب الديني بشكل عام يجب إلا يقوم به إلا من كان مؤهلا علميا من الأزهر بمؤسساته المختلفة في مصر ، أو أو كليات شرعية مثل كليات دار العلوم و غيرها . والخطاب الديني ليس قاصرا علي المساجد و لكنه يمارس في أماكن كثيرة و يهتم به وزارات كثيرة و مؤسسات كثيرة و غير قاصر علي مؤسسة الأزهر و الأوقاف و التربية و التعليم و وزارة التعليم العالي و الثقافة و الشباب و التضامن ...كلها مسئولة عن الخطاب الديني.

١- ففي المدارس يعد معلم التربية الدينية من ممارسي الخطاب الديني .

٢- وفي المساجد . يقوم الإمام و الخطيب ومن يؤدي الدروس في صلاتي العصر والمغرب قائما بالخطاب الديني

٣- ويعد وعاظ الأزهر المتخصصين في العلوم الشرعيةمن خلال مديريات الأزهر في المحافظات من القائمين بالخطاب الديني ، سواء تم هذا في المساجد أو المدارس أو الجامعات أو المصانع أو النوادي .... الخ .

٤- القائمون بالأفتاء في دار الأفتاء ، وفي مؤسسة أو مشيخة الأزهر يمارسون الخطاب الديني .

٥- علماء المجامع الفقهية الذين يتصدون للمستجدات الحضارية و المعاملات الجديدة . وهنا يقوم علماء الشرع و العلوم الإنسانية و الطبيعية و غيرها بدراسة المستجدات والمعاملات الجديدة و تطبيق الأحكام الشرعية عليها بشكل تعاوني كفريق كل له مجاله و تخصصه.

٦- الإعلام الديني . سواء صحافة أو إذاعة أو تلفزيون أو كل من يتصدي للأفتاء أو التجديد أو إبداء الرأي في قضايا من منظور شرعي ، يمارس خطابا دينيا . وقد تعددت القنوات الدينية بشكل كبير في سنوات ماضية ، وكانت المصيبة أن الكثير ممن كانوا يمارسون الخطاب الديني فيها من غير المتخصصين ، وكانت المشكلة أيضاً أن كلا منهما كان ينتمي إلي جماعة ما ، الجماعات السلفية و الصوفية ، وتناقضت الفتاوي و الأراء و هنا يجب التنبيه إلي خطأ القول بجماعات سلفية فيما يوحد هو منهج السلف الذي كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام و صحابته الكرام . هذا المنهج هو الأصل الذي

يجب تطبيقه وهو مذهب أهل السنة و الجماعة الذي هو منهج مؤسسة الأزهر وأري ضرورة عدم عودة هذه القنوات المسماه بالدينية التي تسبب للناس البلبة و التشتت و عدم فهم الدين لما نسبه من طرح لأفكار بعض متطرف و لما تبثه من فتاوي متناقضة و للخلط بين السياسة و الدين وبعضها لأهداف بعض شخصي .

كما أري إلا يتصدي للخطاب الديني إلا المتخصصين وتجريم من يتصدي من غير المتخصصين باعتبار الخطاب الديني مهنة مثل الطب و الهندسة و غيرها ، لا يجب علي أي شخص ممارسة المهنة إلا المتخصص المسموح له علميا و نقابياً واجتماعياً و قانونياً ،من مؤسسة متخصصة ز وأقدم و أعرق هذه المؤسسات بلا شك هي مؤسسة الأزهر.

كل هذا يعني أن الخطاب الديني ليس مسئولية الأزهر فقط أو الأوقاف فقط ، لكنها مسئولية مشتركة تحتاج للتنسيق بين وزرات التعليم والتعليم العالي و الثقافة و الشباب و التضامن الأجتماعي و الأعلام والدراما التلفزيونية و كرتون الأطفال و كل من يؤثر علي الفكر و الوعي والوجدان و السلوك الديني عند الناس أطفالاً و كباراً ، نساء و رجالاً ، مثقفين و غير مثقفين.

ضوابط أساسية للخطاب الديني الجيد :

١-يجب أن يكون القائم بالخطاب مقبولاً من جمهور المستمعين ، وأن يكون متخصصاً قادراً علي الحوار و الرد علي الأسئلة و علي تبسيط الأفكار و أن يكون قادراً علي مخاطبة جمهور غير متجانس فيهم العالم و الأمي ، وأن يراعي طبيعة الجمهور المتلقي للخطاب ، نساء . رجال . أطفال . شباب . متعلمين . غير متعلمين ... ، وأن يكون متواضعا ، يتسم من الناحية النفسية بالانبساطية و حب الناس والتواضع، وحب الخير والقدرة علي توصيل العلم و المعلومات ، فهناك علماء ليست لديهم القدرة علي توصيل المعلومات ، هؤلاء يصلحون باحثين مبدعين ، لكن القائم بالخطاب الديني . الدعوي والأفتائي والتجديدي والتعليمي وهي أنواع مختلفة ومتعددة ، يتطلب أشخاص لديهم القدرة علي تبسيط و توصيل المعلومات للجمهور بشكل محدد وفي نقاط محددة و بشكل يفهمه المتلقي. هذا إلي جانب مجموعة أخريمن الخصائص المتعلقة بشخصية القائم بالخطاب ، أهمها أن يكون قدوة ومثلاً للمتلقين ، وأن يقول ما يفعله و إلا يكون هناك انفصام بين القول والعمل .

٢- أن يجمع بين فقه الشرع و فقه الواقع ، حيث يجب أن يكون علي دراية تامة بواقع المجتمع بإيجابياته وسلبياته وضوابطه ، وأن يكون علي دراية بمشكلات جمهور المخاطبين ، من حيث جذورها وأسبابها و و عواملها ، وأساليب الشرع في مواجهتها فلا قيمة للداعية إذا لم يكن قادرا علي تلبية حاجات الجمهور سواء من المعرفة ، والرد علي الأسئلة ، ومواجهة مشكلاتهم بأساليب واقعية قابلة للتنفيذ ، ويجب أن يكون علي تواصل مع أهل الخير و

رجـال الأعمـال ، حتـي يوصـل إلـيهم مشـكلات النـاس، وييسـر لهـم التواصل مع المحتاجين و حل مشكلاتهم .

٣- يجب علي القائم بالخطاب الديني أن يكون مطلعاً علي آراء ونتائج مجامع الفقه الشرعي لمعرفة موقف الشرع من المستجدات الحضارية . الاقتصادية والطبية وغيرها ، وأن يوضح الأحكام الشرعية لهذه المتغيرات الجديدة للجمهور ، وأن يكون قادراً علي أن يكون مفيداً للجمهور يقدم لهم حلولاً واقعية و يمكن تطبيقها.

٤- يجب علي القائم بالخطاب الديني أن يكون علي وعي بجوانب من العلوم الاجتماعية مثل علم النفس و الاجتماع و الإنسان والأقتصاد ، لأنه يمارس الخطاب في مجتمع له خصائص ثقافية (عادات وتقاليد وأعراف وقيم وعلاقات .... الخ) و لابد أن يفهم جيدا الواقع النفسي والاقتصادي والسلوكي والاجتماعي للمتلقين.

أهم خصائص الخطاب الإسلامي الصحيح :

١-خطاب ميسر لا معسر ، خطاب يبشر لا ينفر .

٢- خطاب تعارف لا تقاتل ، فقد خلق الناس مختلفين و التعددية إرادة الله في خلقه ، وهذا التعدد يجب أن يكون موضع ثراء لا صراع . يقول تعالي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(١٣) سورة الحجرات، والتعارف يعني التعاون علي الخير العام إسنادا إلي المشتركات الثقافية بين البشر على أختلاف أديانهم و ألوانهم و طبقاتهم و أعرافهم ... الخ.

٣- الخطاب الإسلامي خطاب الأمل وبث الأمل والرجاء والتقدم في نفوس الناس. فالخطاب الذي يبث الأحباط واليأس والقنوط والخنوع ضد مبادئ الإسلام وقيمه وأهدافه يقول تعالي للذين أسرفوا علي انفسهم﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٥٣) سورة الزمر

وقال تعالي في سورة البقرة ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ (١٨٦) سورة البقرة ، وعلى الواعظ فتح أبواب الأمل للناس .

٤- الخطاب الإسلامي ضد التكفير بغير دليل قوي من الشرع فهو خطاب ضد التكفير والتفسيق والتبديع ، فمن شهد ألا إلاه إلا الله و أن محمد رسول الله فهو مسلم و إن زنا وإن قتل بنص الحديث . وعلى القائمين بالخطاب الديني مواجهة الانحرافات والآثام والرذائل بالحكمة والموعظة

الحسنة ، وأن يبتعد عن التكفير للمخالفين في المذهب أو للأعداء بحق أو بغير حق علي المخالفين أو الآخرين.

٥- الخطاب الإسلامي ينبذ فكرة صراع الحضارات ، فالحضارات والثقافات في الفكر الإسلامي تتلاقح و تتفاعل و تتحاور لخير جميع الناس فالرسول عليه الصلاة و السلام أخذ فكرة حفر الخندق من سلمان الفارسي ، وهي تكنولوجيا كان يستخدمها الفرس عباد النار من المجوس . كذلك عمر بن الخطاب طبق فكرة الدواوين أخذها من بلاد وحضارات غير إسلامية .

٦- الخطاب الإسلامي يؤكد بوضوع علي فكرة السلام و الأمن بين كل الناس مسلمين أو غير مسلمين ، فالحرب ليست أصلاً في الإسلام فالأصل في العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين ، السلام والتعاون وليست الحرب ، والحرب في الإسلام شرعت للدفاع عن المجتمع أو عن حقوق المستضعفين المظلومين ، وعلة القتال في الإسلام الاعتداء والمقاتلة لقوله تعالي ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ﴾ ال بقرة:٠٩١

فحتي في حالة الحرب الدفاعية و الاستباقية وجه الإسلام بعدم الاعتداء علي غير المقاتلين أوعلي الشجر و المنازل و العباد و كبار السن و غير المقاتلين.

٧- الخطاب الإسلامي يؤكد علي فكرة الدولة المدنية و حماية المدنيين حتي في حالة الحرب ، فلا يقتل إلا المحاربين ، وأن شريعة الإسلام أول شريعة جاءت بحماية المدنيين و العباد مسلمين أم غير مسلمين و حماية المرأة و الطفل و الشجر و الدواب و عدم تدمير شئ أو شخص غير محارب .

٨- الخطاب الديني يؤكد أن كل الأنفس و الأموال و العقول والأعراض و الدين و الكرامة مصانة لكل الناس مسلمين و غير مسلمين محفوظة و معصومة ما لم يكن هناك اعتداء أو خروج عن المواثيق وقيم ومبادي الإسلام عندما قال تعالى ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾(٣٢) سورة المائدة ، مطلق نفس لمسلم أو غيرم مسلم و عندما قال تعالي ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧٠) سورة الإسراء فالكرامة لكل بني آدم مسلما كان أم غير مسلم ، وقد أكد الإسلام على حقن الدماء و القضاء علي الثأر وعادات الجاهليه لأنه يؤدي إلي متوالية هندسية من القتل و الدماء و لذا أكد سبحانه وتعالي ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾(٣٢) سورة المائدة

٩- الخطاب الإسلامي يؤكد علي أهمية المذاهب الإسلامية و عظم الجهود الكبري المخلصة لعلماء و فقهاء الأمة ، ولآرائهم و أحكامهم لكن العصمة تقتصر فقط علي الأنبياء و المرسلين . فهؤلاء العلماء بذلوا جهود عظيمة لحل المشكلات في عصرهم ، ولم يكونوا مكلفين بحل مشكلات مستقبلية غير موجودة في عصرهم ، وعلماؤنا و فقهاؤنا

المعاصرين من خلال مؤسسات كبري مثل مجامع الفقه الإسلامي ، عليهم إنزال الأحكام الشرعية علي المستجدات الحضارية ، وكل ما يعن ببال الناس في عصرنا فباب الاجتهاد مفتوح فيه ولن يغلق في إطار الثوابت السابق الإشارة إليها .

١٠- يؤكد الخطاب الإسلامي عدم تقديس بشر أو فقهاء أو علماء لكن في نفس الوقت يجب إلا نبخسهم حقهم ، ولا يتعرض لمنافشة توجهاتهم و أحكامهم إلا المتخصصين داخل مؤسسات علمية وفي مقدمتها مؤسسة الأزهر. فتفنيد آراء العلماء ليس أمر متروك للجمهور وغير المتخصصين ، فهذا خطأ أو خطيئة كبري .

١١- الخطاب الإسلامي يؤكد أن الفتوي تختلف من زمان إلي زمان ومن مكان إلي مكان ، ومن ثقافة إلي ثقافة ، ومن شخص إلي شخص . فإذا كان كبار العلماء أفتوا في زمانهم ، فإن من حق علماء كل عصر أن يفتوا لزمانهم بمستجداته الحضارية و مشكلاته و علاقاته الجديدة . كل هذا بشرط التسلح بأدوات الفتوي السابق الإشارة إليها ، وهي التمكن من فقه الشرع (منظومة العلوم الشرعية) وفقه الواقع (منظومة العلوم الاجتماعية التي تحقق الفهم العلمي للمجتمع و جمهور المخاطبين في مختلف الجوانب الفكرية و المهنية و الاقتصادية والنفسية والاجتماعية وغيرها . وعلي علماء كل عصر أن يكونوا علي علم بفقه الأقدمين ومناقشته علي إلا يفعل هذا إلا المتخصصين و بأسلوب علمي رصين مع الاحتفاظ بالمكانة الاخلاقية و المعرفية و العلمية والسامية ،

وتقدير جهودهم المخلصة في الفهم و التمحيص لكل جوانب العلوم الشرعية ، واجتهاداتهم الكبري موضع التقدير علي مستوي كل الأجيال.

١١- الخطاب الديني الإسلامي يجب أن يركز علي أن العلم و التعلم والتعليم و التفكير والبحث العلمي وإعمال العقل للوصل إلي سنن الله في الكون وإلانسان و المجتمع و التاريخ ... كل هذه فرائض إسلامية وهي فروض إسلامية واجبة ، ويجب أن يركز الخطاب علي أمرين أن العمل وإتقان العمل عبادة لله ، وأن العلم و العمل يتضمنان العلم والعمل الشرعي والعمل وعلوم الدنيا ، فلا فرق في الإسلام بين علوم الدين والدنيا إذا صدقت النوايا و الأهداف ، فكان الهدف الوصل إلي سنن الله وخدمة المسلمين والناس عامة ، إلي جانب زيادة الطاقة الإيمانية لدي العلماء والمتعليمن.

١٢-يجب أن يركز الخطاب الديني علي فضل العقل المسلم وعلماء المسلمين في إبداع علوم طبيعية جديدة ، وإبداع علوم اجتماعية جديدة مثل علم الاجتماع والعلوم السياسية والتربوية ، وإبداع آداب وفنون عالمية ، وإبداع المنهج العلمي التجريبي ، الذي كان من الأعمال الإبداعية للمشتغلين بأصوال الفقه في مجال العلية و الدوران وتنقيح المناط، وأن هذا الإبداع الإسلامي هو العامل الرئيسي في تحقيق نهضة الغرب وانتقالهم من الظلمات إلي النور ، عبر منافذ الأندلس ، وصقلية، والحروب الصليبية ، فالغرب أخذوا علوم المسلمين وطوروها فتقدموا ، ونحن تخلينا عن هذه العلوم منذ فترة طويلة فتخلفنا وسنن الله ثابتة ولا تحابي أحداً ، فمن يأخذ بسنه من سننه يكافئه الله بالنجاح في هذا الجزء. وقد كان علماء المسلمين هم الذين أبدعوا العديد من العلوم والإبداعات

فالشيباني ينسب إليه إبداع ما نطلق عليه اليوم القانون الدولي العام و إبن الهيثم أبدع في مجال البصريات ، وجابر بن حيان في مجال الكيمياء ... الخ و القائمة كبيرها أقرها كبار المشتغلين بتاريخ العلم مثل جورج سارتون و غيره .

١٣ – علي الخطاب الديني أن يوضح للجمهور أن هناك مصالح مغيره مستقرة وهي ثوابت وهي قليلة ، وهناك مصالح مرسلة وهي التي تتناسب مع كل عصر ، وتتغير بتغير الزمان والمكان والثقافات في المجتمعات ، هذه الأخيرة تحتاج إلي اجتهاء علماء المجامع الفقهية المعاصرة ، ويجب الوصول بشأنها إلي أحكام شرعية . هذا مع الانضباط والتقيد بالثوابت والأصول الشرعية السابق الإشارة إليها .

١٤– علي الخطاب الديني أن يؤكد علي أن الإسلام دين الحوار والتسامح و التفاهم والسلام ، يوضح لنا كيف يحاور الخالق سبحانه وتعالي الأنبياء و بني اسرائيل ومع المؤمنيين ومع الكفار ، بل تحاور مع الشيطان .. وجميع الأنبياء تحاوروا مع أقوامهم من الكفار .. وقد عقدت عدة مؤتمرات منها مؤتمر دولي في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة حول الحوار في القرآن و السنة ، شاركت فيه ببحث مطول ، وإذا كان الإسلام دين العفو والتسامح و الغفران ، لكن مع الاحتفاظ الكامل بالعزه لله و رسوله و للمؤمنين .

١٥– مؤسسة الأزهر في مصر علي مدار أكثر من ١١٠٠سنة تنشر الإسلام الوسطي الصحيح ، و علماء الأزهر هم الذين أسسوا لكل الجامعات و الكليات الإسلامية في العالم العربي و الإسلامي ، ومصر ضد مناهج التكفير العشوائي ، كما أنها ضد كل مناهج التطرف أو العنف أو الانحلال ، ومصر الأزهر هي التي حفظت الإسلام و اللغة العربية بحفظ

الله لهما . فمصر ترفض كل أشكال التطرف و كل أشكال الانحلال ، ونؤكد علي صحيح الإسلام و علي المنهج السلفي الذي يركز علي ثوابت الإسلام وهذا المنهج واجب الإتباع لكل المسلمين و ليس لجماعة دون سواها.

١٦- الخطاب الديني يجب أن يؤكد ما أكده الإسلام أنه لا اكراه في الدين ، وأنه من شاء فليومن ، ومن شاء فليكفر ، وأن الإنسان لا يدخل إلي دين ما إلا باختياره الحر ، وأن واجب العلماء فقط عرض صحيح الإسلام فلا قهر و لا إجبار علي اعتناق أي دين .

١٧- كتب التراث جهود بشرية ضخمة لعلمائنا أفنوا فيها حياتهم لكننا لا نقدس كتب التراث ، نأخذ منها ما يتفق مع صحيح الإسلام ، وما يتفق مع واقعنا . نشكر لعلمائنا اجتهادهم و مناقشة أمور عصرهم ، وعلي علمائنا مناقشة قضايا عصرنا في ظل ثوابت الإسلام وضوابطه .

١٨- الخطاب الإسلامي بعيد عن الانفعال و التشيخ والاستعلاء . خطاب هادئ يقدم الحلول للمشكلات ، ويقدم صحيح الدين بالأدلة الشرعية، وبالمستوي النفسي والمعرفي والثقافي الذي يستوعبه الجمهور.

الخطاب الديني في مواجهة التطرف والارهاب:

يجب أن نميز أولاً بين ثلاثة أمور تشترك في بعض المتغيرات و تختلف في أخري .

أولاً : التطرف الفكري ، وهو الايمان بأفكار أو معتقدات أو إيديولوجيات بعيدة عن الوسطية و بعيدة عن صحيح الدين الإسلامي كما جاء في القرآن الكريم و صحيح السنه . وهذا الدين الصحيح هو ما جاء به علماء و أئمة مذهب أهل السنة و الجماعة ، وهو ما يعلمه و يدعو إليه الأزهر و كلياته المختلفة . وهذا يعني أن التطرف هنا أو فكري اعتقادي أيدلوجي بعيد عن وسطية الإسلام و عن قوابته و سماحته و دعوته إلي كرامة كل الناس ، وحقوق و حريات كل الناس دون تميز علي أساس عرقي أو ديني أو مذهبي أو قبلي ، بشرط عدم ارتكاب سلوكيات تتصادم مع ثوابت الإسلام و عقيده و قيمه و لا تقع ضمن جرائم الحدود أو جرائم القتل و الجرح (القصاص و الديه) أو جرائم التعزير و بشرط عدم الانتقال بالتطرف من الفكر و الاعتقاد إلي الفعل و السلوك والممارسات و العلاقات . فالقضية هنا فكر منحرف يحتاج إلي إصلاح وتعديل و بيان وجه التطرف ، ونجاح إلي خطاب ديني رشيد بالحكمة والموعظة الحسنة و يستعين بما أسفرت عنه منظومة العلوم الأجتماعيةو النفسية و التربوية من آليات و ديناميات لتغير الفكر والاتجاهات و القيم و السلوكيات . وهنا يجب أن يستعين الخطاب الديني بالفهم الصحيح لعدة علوك ، ومعارف ، في

مقدمتها العلوم الشرعية واللغوية إلي جانب العلوم الاجتماعية و التربوية و النفسية و الطبية.

ثانياً : الارهاب ، بمعني ترويع الآمنين انطلاقاً من فكر متطرف منحرف ، أو انطلاقاً من أهداف سياسية أو اقتصادية غير قانونية و غير مشروعة، أو محاولة ترويع الآمنين لتحقيق أهداف إجرامية يجرمها القانون و تجرمها الشريعة الإسلامية . هذه الممارسات لا يمكن التعامل معها إلا بتطبيق القانون و بالسلاح و بالقوة المشروعة داخل المجتمع من أجهزته المخولة بذلك و هي الشرطة و الجيش و القضاء . هذا لا مجال للخطاب الديني إلا في توضيح موقف الإسلام من جرائم الحدود والقصاص والتعزير.

ثالثاً : التطرف علي أعتاب ممارسة الإرهاب أو انضموا إلي جماعات إرهابية هؤلاء مجموعة لديها أفكار متطرفة تحاول الجماعات الإرهابية المنحرفة غرسها لديهم من خلال وسائل الاتصال المكتوبة و الشفاهية والالكترونية لكنها لم تمارس جرائم إرهابية . هنا يكون الخطاب الديني بأنواعه المختلفة . الخطب و الدروس في المساجد ، ومناهج التربية الدينية في المدارس ، والدراما و كرتون الأطفال وغيرها من أنواع الخطاب الديني دور مهم لتصحيح فكر هؤلاء المتطرفين وإرجاعهم لحظيرة الإسلام الصحيح في وسطيته و تسامحه و عدالته واحترامه لحقوق وحريات وكرامة كل الناس.

كل هذا يعني أن الفكر الضال المنحرف المتطرف لا يواجه إلا بفكر صحيح من خلال خطاب ديني تتوافر له الخصائص السابق بيانها . أما ممارسة الإرهاب و الجرائم ضد الوطن أو ضد المؤسسات أو ضد الأفراد ەفلا مجال فيه للخطاب الديني و إنما للقانون و الأجهزة المشروعة لحماية المجتمع و تحقيق آمنه من جيش و شرطة و قضاء . فلا حوار مع من مارسوا الجرائم أو الإرهاب أو من ارتمي في أحضان دول وجماعات تحاول هدم الوطن و المجتمع و تفتيته و إبقائه متخلفاً....الخ وأخيراً يجب التأكيد علي الخطاب الديني الرشيد يمكن أن يحول دون أن يتحول المتطرفون فكرياً إلي ممارسة الإرهاب.

هذا والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل

أ.د. نبيل السمالوطي
العميد الأسبق لكلية الدراسات الإنسانية
وأستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر